

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأُوا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِيهِ أَوْ شَكَ أَنْ يَعْمَمُهُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِّنْهُ"

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا هو الحديث الرابع عشر في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو حديث أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- قال: يا أيها الناس إنكم تقرعون هذه الآية، يعني بذلك: آية المائدة، وهي قوله -تبارك وتعالى-: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}** [المائدة: ١٠٥] وإنني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ((إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه...)) أي: لم يمنعوه من ظلمه، ((أوشك أن يعمم الله بعقاب منه))^(١)، قوله -تبارك وتعالى-: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ}** أي: الزموا طاعة الله -عز وجل-، واعملوا بمرضاته، فإن فلتم ذلك فإنه لا يضركم ضلال من ضل حينما يضل، **{لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}**، ولا يكون الإنسان بحال من الأحوال مهتماً مستقيماً على طاعة الله -تبارك وتعالى- إلا إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وإلا فإن الذين تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله -عز وجل- على السنة الرسل، **{لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْقِدُونَ * كَانُوا لَا يَتَاهُونَ عَنْ مُتَكَبِّرِ فَعَلُوهُ لِبْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}** [المائدة: ٧٨-٧٩] فالإنسان لا يسلم بحال من الأحوال، ولا ينجو عند الله -تبارك وتعالى- إلا إذا قام بهذه الفريضة على الوجه الذي أمره الله -عز وجل- به، وإنما ينفك من التبعية بحال من الأحوال، لا يضركم من ضل إذا اهتديت إذا قمت بطاعة الله -عز وجل- وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وامتثلتم فلا عليكم بعد ذلك أن يضل من ضل، بمعنى أنكم أمرتموه ونهيتموه وعملتم بطاعة الله -عز وجل- فيأتون يوم القيمة يحملون أوزارهم على ظهورهم، لا تتحملون منها شيئاً، **{وَلَا تَزِرُ وَازْرَةً وَزْرَ أَخْرَى}** [الأنعام: ١٦٤] وكذلك أيضاً إذا كان الإنسان مهتماً يعمل بطاعة الله -عز وجل- وهو مؤمن ولهم أب أو أخ على غير الإيمان فإن ذلك لا يضره، ولا ينقص مرتبته عند الله -تبارك وتعالى-، وأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما أسلموا كان الواحد يرى أباه على غير الإسلام، ويرى أمه على غير الإسلام، ويرى إخوته وعشيرته على غير الإيمان فما تبارك وتعالى - أخبر أن ذلك لا يضرهم؛ لأن كل إنسان يرد القيمة

١ - أخرجه الترمذى، كتاب الفتن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في نزول العذاب (٤٦٧)، رقم: (٢١٦٨)، وأبو داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهى، (١٢٢/٤)، رقم: (٤٣٨)، وصححة الألبانى في السلسلة، رقم: (١٥٦٤).

بعمله، ونوح -صلى الله عليه وسلم- كان ابنته كافراً، وكانت امرأته على غير دينه، وكذلك لوط -صلى الله عليه وسلم-، ووالد إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- لم يؤمن به، وتبرأ إبراهيم منه، **{فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ}** [التوبة: ١١٤]، فكون الإنسان له قربات على غير الهدى والصلاح لا يؤثر ذلك في عمله وحاله ودرجته عند ربه -تبارك وتعالى-، هذا معنى الآية، لا يضركم ضلال من ضل إذا كنتم على استقامة وهدى، ولن تكونوا على استقامة وهدى إلا إذا قمتم بما افترض الله عليكم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الآية يخطئ كثير من الناس في فهمها، ولربما يحتاج بعضهم على من أمره بالمعروف، أو نهاء عن المنكر بهذه الآية، يقول: **{عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ}**، نعم علينا أنفسنا، وإن من قيامنا بالعمل الذي يتعلق بنفوسنا أن نأمرك بالمعروف وننهاك عن المنكر؛ لأنه لا نجاة لنا إلا بهذا، ستؤتينا يوم القيمة تتعلق برقبتنا وتقول: أنا جاركرأيتني لا أصلح ولم تأمرني، أنا قريبك تراني أقارب المنكر ولم تأمرني ولم تنهني، نقول: لا، ولا بد من أمرهم ونهيهم، هذا، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وآلـه وصحبه.